ذكرى مولد الفاروق

١١ فـــبراير

خلدي يا مصر أيام المليك

للأستاذ مراد الكردانى

...وهذا يوم من أيامك الزُّهر الوِضاء يا مولاى، يعتز ويتيه على الزمن كله ، ويختال على أيام هذا البلد الأمين ، بأنه كان فجر السعد وفتح اليمن، وبداءة النصر بعد عنت الجهاد، ولمعة الأمل فى أثم الليل الذى تحلك وتدجى ، ثم امتد واستطال

هذا يا مولاى أول أيامك على الدنيا يعود ، وما يزال يعود . أشرق — يوم أشرق — على هذا البلد السعيد إشراق العز ، وهلّ عليه كصيِّب الغيث . ثم سرى فيه كسرى النسيم الريان ، فكان بِشراً بين يدىْ رحمة الله التى غمرت أقاصىّ هذا الوادى ودانيه ، وكان نعمة فاضت بمددها الذى لا يغيض ، وخيرها الذى لا ينتهى ، وبرّها الموصول إن شاء الله

هذا يا مولاى أسعد يوم أحقُّ أن أقول فيه ... عادت مصر به وكأنها نفس سابحة على مدّ أملها تستشرف العز الذى انحسرت عنه ظلمات الأفق وتستحث المجد الذى بدا صوراً آخذاً بعضها ببعض، وتتعجل النصر الذى رصدت مطلعه متلهفة صابرة منذ آماد طوال !

ولقد شاء القدر الراحم أن يكون ميلادك، يا زين الشباب، أول منحة بعد أطول محنة ، وأن يكون بهاءً بعد رَهق البلاء . وذلك فيض من الله عميم، فإن الفضل للمحنة أن تكون مُطهرة واستعداداً وتهيؤاً لتكون المنحة إثرها وثوباً إلى الغد ، وتطلعاً نحو المجد

فى كتب الجاحظ وابن قتيبة وأبى الفرج معناه « القتال السفاك للدماء »

أليس يرى الأستاذ شاكر بعد ذلك أن الأدلة التى أقمت عليها رأيى أكثر تظاهراً وتسانداً، وأشد رجحاناً من رواية المؤرخين الأدباء ؟ هذا اعتقادى على كل حال .

على أنى قبل أن أختم هذه الكلمة ، أحب أن أعترف بأنى أفدت من بحث الأستاذ شاكر فائدة كبيرة ، فقد علمت منه أن نص اليعقوبى القائل بأن عبد الله بن على هو السفاح ، منقول عن ابن سعد فى طبقاته .

عبد الحميد العبادى

ثم أشفق هـذا القدر على هذا البلد ، وأنت يا مولاى حلٌّ بهذا البلد ، فوَسم أيامك عليه بالخير واليمن وجرى فيه أمداداً متلاحقة من العز واليسر ، وتبدّى فى رحابه رُؤًى رائعة كلها نصر وتوفيق ، حتى بلغ القمة ، وتسنم الذّروة ... ثم حمل الراية ومضى يقود الشرق المظلم إلى منازل العزة ومشارف المجد . . .

ومن ثَمّ كانت ذِكَرُك يا مولاى تَدْرُجُ على ربوع هذا الوادى الأمين . وكأنها مُنًى حلوة تُراوِحُ قلبَ عذراء موعودة . أو كأنها نسمة تنامم روح حبيب فكنت يا مولاى المنى والنسمة ... وكان شعبك الوفُّ الكريم ، القلبَ الموعود ، والروح المنتظر !

لقد سنحت يا مولاى سنوح الرضا ، ولُحتَ كما يلوح الحق بين شبه الباطل ، فكنت فينا معجزة إلهية لمحت بالنور العجيب ، يتطيّفُ هادياً مشرقاً من نبع قبسه الذى هو أنت . فكأنك يا حبيب الحبيب[1] عرق من النور الأعلى ما يزال يترسل ويتضوأ على نسقه وطبعه حتى يضح كلُّ الذى حوله . ومن ثَمّ يشرق به ومنه ، ومن ثَمّ يتضوّءان معاً ... وأنت يا مولاى كما أنت نور على نور ، وهو ، لا كما هو ، وإنما استحال خلقاً آخر غير الذى كان ، أعنى أنه أشماس ، وكان قبل لجراً من طول ما ران عليه !

سبحان الذى ألهمك يا مولاى أن الأُسوة خير من القسوة، وأن القدْوة أفعل فى النفس من القدرة. فجمل كالك وحياً وَرِحيًّا يفعل فى النفوس على طبيعته وفى طبيعتها ، فلا يزال بها حتىّ يحيلها كمالاً كلها ، وطهراً كلها، وسلاماً كلها . كما أنت – يا أمير المؤمنين – جمع ذلك كله ... والسعود أقدار يا مولاى... فلله ما أكرمك عليه حين جعل سبيلها إليك أجرَ من اهتدوا بهديك وسموّ وراء خطوك ... ولله ما أكرمك عليه ، حين عمّرتَ بالشباب أبهاء المسجد ، وحين نضرْتَ بهم وجه الدين ، ويوم انطوت أيديهم على حبات المسبحة ، وكانت قبل لا تُفلتُ الدخينة ، ويوم جمعتهم على الهدى وكانوا شيعاً على الحقد والضغينة .

مولاى يا وارث المجدين، ويا فارق العهدين، يا أمير المؤمنين... يا سليل الأمجاد ، ويا شبل فؤاد ، عيدك يا مولاى سيد الأعياد ... ويومك غرة الأيام ... وزين الزمان ...

صان الله شبابك الغالى ، وأمدك بالعافية كلها ... ونَضّر بالخير أيامك . ووسم بالسعد عهدك وزمانك ...

وليحفظ الله الأميرة الغالية فى مجد المليك ، وعز المليكة ، وهناءة البيت الملكى الكريم ...

مراد الكردانى

(١) الحبيب : الرسول الكريم عليه السلام

ساع فى الدرجة الخامسة !

بلغها بدماثة خلقه ، لا ريب عندى فى ذلك . ومن كان فى ريب مما أقول فليعرفه من كثب كما أعرفه ، ثم لينظر فإن لم يمح اليقين من نفسه الريبة فأنا المخطئ وهو المصيب . . .

وإن أنداده ليعجبون كيف يتخطى أكثرهم إلى تلك الدرجة التى باتت عندهم حلماً من الأحلام ، وإنهم ليقسمون أنه دونهم فى الكفاية ، ويستدلون على ذلك ، إذا لم يغن القسم ، بأخطائه الجسيمة التى لم يسأل قط عن شىء منها ، وذلك ما يزيد دهشتهم وحيرتهم

ولكنى أنا أعجب كيف فاتهم دماثة خلقه ورقة شمائله ولطف معاشرته، وإنها مرد ما نال من حظوة! ومتى كانت تقدر الأعمال بالكفاية فحسب ؟ وإن من الكفاية ما يلحق بصاحبه الأذى ، وإن منها ما يقف بينه وبين ما يشتهى

رأيته أول مرة فرحب بمقدمى ترحيباً ملك قلبى ، وأقبل على يحدثنى ويجود على من الألقاب بما كاد يمترينى الزهو ويداخلنى الغرور من أجله . وما هى إلا دقائق حتى كنت منه كما لو كان يعرفنى من زمن بعيد . وآية ذلك أنه صار يعرفنى إلى أقرانه وهو يشير إلى فطنتى وسعة اطلاعى ويثنى على كرم خلق ، كل ذلك فى طلاقة أدهشتنى وإن كادت تضحكنى ضحكات لست أدرى ماذا كنت أسميها !

وتاقت نفسى إلى رؤيته أمام رئيسه، ولم يطل تطلعى فقد أقبل الرئيس فرأيته يثب من موضعه فينظم وضع طربوشه على رأسه ويزر حلته ويهرول تجاه القادم مبتسما ، حتى إذا دنا منه أقبل على يده فى لهفة ولسانه يلهج بالسؤال عن صحة « سعادة البك » وأنجال « سعادة البك » ويجيب فى سرعة ونشاط على سؤال وجه إليه بقوله : « نعم كما أمرت سعادتك يا سعادة البك » ... وأعجبنى لعمر الحق دماثة خلقه هذه واستيقنت نفسى من أدبه وظرفه

وانقضى يوم فازددت اطلاعاً على حسن شمائله وجميل تواضعه ، فهو يعزو كل شىء إلى همة سعادة البك ، وهو لا يفعل شيئاً إلا « بأنفاس سعادته » وهو لا يكتم خبراً ولا يضن بحديث سمعه على رئيسه، فذلك عنده من الأمانة والإخلاص. وإن عبارات الإجلال والتعظيم لهذا الرئيس لتثب إلى ذهنه فى سرعة عجيبة ولباقة مدهشة ، أعجب معهما لمن ينكرون عليه الكفاية حتى لا يسعنى إلا أن أنكرها عليهم هم ، وإن كنت فى ذلك مثلهم إلا أننى لا تحركنى الغيرة للعيب عليه

ورأيته لا يقع بصره على رئيسه مبارحاً إلا حضر إليه مودعاً ولكنه يمشى على قيد خطوة أو خطوتين وراءه ، وذلك لا شك تأدب منه ، وإن تقول عليه خلاف ذلك المبطلون الذين يحقدون عليه لبلوغه دونهم الدرجة التى يتحرقون شوقاً إليها

وهو مرب على رغم ما سماه به بعض المغيظين منه ؛ وإنه ليشعر أن من واجبات مهنته أن يوحى إلى تلاميذه دماثته وأدبه وأن يلهمهم الصدق ويعودهم احترام النفس . وإنه ليعتقد أنه يفيد طلابه من هذه الناحية أكثر مما يفيدهم غيره من أقرانه ؛ وإلا فمن بلغ مبلغه منهم من الدماثة وكرم الطبع ؟

ولن تفوته فرصة لإظهار دماثته تلك التى أصبحت مضرب المثل بين عارفيه ، وهو لا يرى من وراء ذلك إلا إلى أن يكون فيه لأبنائه أسوة حسنة ، ولن يبتغى عليه جزاء ولا شكوراً .

ومن أروع مواقفه التى لست أشك أنها من خير ما يقتدى به ، أنه التقط ذات مرة على مرأى من الطلاب جميعاً دخينة سقطت على الأرض من يد رئيسه فأعادها إلى الرئيس ، ولكن ما كان أعظم دهشة الطلاب أن رأوا ذلك الرئيس يقذف بها بعيداً بعد أن يأخذها منه وهو عابس الوجه وعلى شفتيه ما يشبه الازدراء وما لا يكون إلا استنكاراً . ولقد قارن الطلاب لا شك بين رقة الأستاذ وغلظة الرئيس ، ولست أدرى أيهما كانت أقرب إلى نفوسهم البريئة

وشاعت الحادثة فى الزملاء الحاقدين منهم والمسالمين ، فقال أحدهم : « ما أراه إلا ساعياً فى الدرجة الخامسة » . فقلت : وكيف يكون ساعياً من كان فى الدرجة الخامسة ؟ فنظر إلى الآخر نظرة غاضبة كأنما ضايقه جهلى وقال : وإنك لترى من هؤلاء من هم فى الرابعة وإن شئت ففى الثالثة ... والطريق إليها جميعاً سهل معبد ولكن لن يرضى أن يكون ساعياً

(خفيف)